



قف قليلاً، خفف الوطء، شمر واجتهد وانقل خطوك في حذر، فأديم الأرض مغطى بالدم المسقوط، وامض رويداً رويداً، متى شئت إن تمضي وتلتفت، فلعل على جانبيك من يستغيث من غير صوت أو إشارة، ففرعون دمشق أمعن في الذبح ومن منكم لا يعرف الذبح، فما أبقي لأحد حتى على صوت أو إشارة، وإن أصابك بعض الفضول، فاستدر بكلك والتفت إلى الوراء، كي تشرع ما اتسعت ذاكرتك من الأرقام المجردة، في عد الشهداء الأحرار الذين سقطوا على يد النظام المتعطش لكل دم حر أبي عصي على الضيم والظلم والعدوان في بلاد الشام.... تقاد من هول الفاجعة أن تفرق في الإحباط، يهوي بك إلى قعر من القنوط...

فيطن الوادي ادلهمت الظلمة فيه، وصار نقل الخطى هناك ضرب من ضروب المجازفة، فقد زرع مجرمو الأسد الألغام المضادة للأفراد على كل الحدود، كيلا تبقى لأحد من المدنيين الفارين من أتون الذبح أي فرصة من فرص النجاة....
أما الجبل فسفحه زادوا في زاوية انحداره، ووعورة مرتفعه مما عاد أحد قادر على تسلقه أو الهبوط منه، فعلى كل شارف منه وأكمة زرع محترف إجرام من القناصة استقدموه من خلف الحدود يترصد كل شاردة وواردة كي يعدمها الحياة...
وعلى البحر زرعوا الزوارق والبواخر الحربية، وذكروا بها الساحل، ولم يسلم حتى المخيم اليتيم، حتى هذا فقد انضاف إلى تل الزعتر وعين الحلوة والبداوي وانجر عليه تراب كثير كما انجر عليهما وصار شيئاً من الذكريات، وبعضاً من الماضي الذي نتمنى لو نقدر على نسيانه فنساه!!!

أما سلاح الجو، فعجبك قد يتجاوز عجب واستغراب موسى - عليه السلام - من الرجل الصالح في حكاية خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، حين تدرك إدراك المشاهد الموقن أن هذه الطائرات بقيت في مراقبتها، حين حلقت طائرات معادية من خلف الحدود فوق عرين الجرذ كي تقصف وتعود إلى قواعدها سالمه، أما طائراتنا فقد أفرغت حمولتها أثناء إعداد هذا المقال فوق حمص وحمص وإدلب والساحل... وهي بدورها عادت إلى قواعدها سالمه!!! موسى - عليه السلام - عرف السبب فزال منه العجب، ونحن ما زلنا نعيش في كل يوم رجب وما زلنا نرى العجب!!

أما المدن... هل بقي في لغتنا الجميلة يوم كانت لها على الدنيا دلال الحسنة طلعت طلوع البدر في الليلة الظلماء... أقول:
هل بقي في لغتنا ما يفي بالغرض من كلمات الندبة والحزن المفضي إلى التفجع، هل هناك ما يتخطى كلمات الحسرة والتحسر، إن وجدت فهي لكل المدن المنكوبة على امتداد تراب بلاد الشام...
سئمنا سؤال البشر، فتعالوا نسأل الشجر ما بقي وما انهد من الحجر، أسألوا حمص.. مروا باحيائها... حاراتها... أزقتها... بابا عمرو... الإنشاءات.. البياضة....
حمة... أسألوها.. أسألوا نوعاًيرها التي صمدت آلاف السنين أمام تقلبات الطبيعة والتاريخ، تمكن أبناء الأسد حافظ ورفعت

من تركها في غفلة من الزمان قاعاً صفصفاً... وعلى رأي من قال: من خلف ما مات، سار الأبناء على خطى الآباء في الفضائح والفظائع والجرائم، دكت البيوت على رؤوس ساكنيها في كل المدن... عوجوا على إدلب والدير ودرعا، عوجوا على الزبداني... مضايا... دمشق الأمويين بريفها وأحيائها... هل أبقي البغاء على حرمة شيء... لقد استمرت آلة طحن الأبناء على خطى الآباء.. طحن الحيوان والحجر والشجر ناهيك عن طحن البشر!!! قتلوا والله وأوغلو..

اغتصبوا والله وأفحشو...

سرقوا والله وافسدو...

كفروا والله وفجروا...

امتهنوا كل شيء - من الإهانة وإن شئت فمن المهنة... امتهنوا كل شيء إلا الفضيلة... مما بينهم وبين الفضيلة تجاوز بعد المشرقين!!

كل هذا بالمحسوس الملموس يبعث إلى ما ذهبنا إليه وزيادة، ويزيدنا ضيق صدر على ما عندنا من ضيق صدر، أن العالم كله قلب لنا ظهر المجن، وراح يسرف في الكيد لنا.. والشماتة بنا، كما لو أنه يثار منا.. فكل من حولنا صاروا بين متفرج لا بيالي... ومساند موافي لا لنا بل علينا... وفي كل محافل الدنيا.. أكثرهم عطفاً علينا بادلنا غراماً ونبذنا سيوفاً مشرعة وأوهاماً... كل هذا بلسان العوام من الناس "كوم" وأبناء جلدتنا، سندنا المفترض... وعزوتنا.. "كوم" .. وكل هذا وذاك "كوم" واختلافنا على حقنا.. وتشتتنا من حوله "كوم ثالث".

إن من بيننا من يحذد الإمارة ولو على الحجارة... خصومنا قد اجتمعوا على باطلهم، واختلفنا على حقنا مطمئنين، سادرين.. لاهين...

غير إن المتأمل لما بين أيدينا من كتاب نؤمن به بإيماننا بكل جارحة من الله بها علينا، كي نذعن مستسلمين لقوله - تعالى -: (و ما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)، قول صادق لهذا يتركنا نهباً لسؤال مشروع، يلح علينا في استئناف الإجابة: لماذا يتأخر النصر؟!

نحن الذين سلّلنا من تحت جلدنا بعيوننا الذي أطعمناه من حر مالنا حتى أشعناه، وسقيناه من صافي مائنا حتى رويناها، واشترينا له السلاح ليحمينا به، فإذا به يوجه إلى صدورنا كي تكون أول وقوده، تركنا للباغي اللئيم الفرصة، فتمسكن حتى تمكنا !!

استنف آغوات بلادي عن تشيع أبنائهم إلى الجيش، بهذه مهنة دونية لا تناسب الأبناء، ليس أقل من الطب أو الهندسة، فنحن على رأي من قال: لنا الصدر دون العالمين أو القبر !!

فاخترنا الثانية، وكان ميلاد الإجرام مجتمعاً في آل(الأسد)، يغار علي قرانا وأريافنا ومدننا ينتزع أبناءنا فلذة أكبادنا من أحضان أمهاتهم، يسوقهم عنوة إلى الجبهات، يتقاول فيها جيشان لا يعرف أحدهما الآخر من أجل اثنين يعبد أحدهما من دون الله الآخر !!

من كان في شك من كل هذا، فليتصفح تاريخ حُماة الديار، من لبنان إلى العراق مروراً بالجولان، والمُشارَد الآن غني عن التعريف!!!

ساق أبناءنا عبيداً جنوداً أغراياً، فعباهم ضدنا، وحين حاق بنا مكرهم، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، رحنا نصيح بملء حناجرنا على العملة النادرة في هذا الزمن الأغبر، على أهل النخوة والحمية... وإن كان لي من زعم، فقد ذكروا في مدارج السالكين أنهم ظعنوا مع الريح؟!

من هنا ما عاد لنا من مندوحة أن نجيب: هل حقاً أنه لم يبق في الميدان إلا الأسد حديدان؟!!

هذا قولنا في حدود عجزنا البشري، غير أن لله يا أبناء الشام، شأنًا آخر وسننًا ما حاد قدره عنها ولا أبوطأ، وسؤالنا اللاحق نطرحه على النحو التالي: كم دب على أديم الأرض هذه من بشر وأمم، من عهد آدم وأمنا حواء – عليهما السلام – وحتى يوم بشار الإجرام هذا عليه من الله ما يستحق؟!!

يا صاح.. خفف الوطء ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد، فإذا أجبتم – ولا أظنك تعجزون–، ستقولون مطمئنين: أمم كثيرة، عندها سنتبع بالسؤال التالي: أين هم الآن؟!! هل ترى منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا؟!! وإذا كانوا جميعاً قد تساووا تحت الثرى، فلماذا لا يريد هذا الداعي أن يصدق بأنها لو دامت لمن قبله لما وصلت إليه؟!!

قال – تعالى – : {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلِقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ}... ماذا نسمى فعل بشار؟! .. وهل بعد القتل من فساد؟! {فَأَكْثُرُوا فِيهَا الْفَسَادَ}..

ثم عاقبة كل متكبر ظالم جواط؛ {فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لِيَأْمِرُ صَادِرًا}. فاصبروا وصابروا، فما النصر إلا صبر ساعة، {ويقولون متى هو، قل عسى أن يكون قريبا}. الله وكيلكم يا أهل الشام.. وحسيبكم ونصيركم، ومؤيدكم وناصركم فحسبكم وكفى.... فشمروا واجتهدوا.. وأنتم الأعلون... الله مولاكم وطاغية دمشق وأعوانه ومناصريه لا مولى لهم.....

المصادر: